

هيباتيا 370 م - 415 م

المرأة الأولى التي لمعت في ميدان الرياضيات والفلسفة والفيزياء، وأول عالمة بينهم خلدت اسمها بحروف من ذهب في زمن كان العلم فيه حكرا على الرجال، كما انها أولى شهيدات الحكمة والفلسفة على مدى العصور والدهور.

في ذلك الوقت كانت مكتبة و جامعة الإسكندرية القديمة أول معهد للبحوث في تاريخ العالم، في تلك الجامعة جلس عمالقة الفكر والعلم وهناك بين الرجال العظام كانت هيباتيا عالمة الرياضيات والفلك والفلسفة والفيزياء عندما كانت هذه المجالات حكرا على الرجال ويقول كارل ساجان إن هيباتيا هي آخر بريق لشعاع العلم من جامعة الإسكندرية القديمة

في القرن الرابع الميلادي في مدينة الاسكندرية ولدت ابنة ل ثيون آخر زملاء متحف الإسكندرية الذي كان إما ملاصقا لمكتبة الإسكندرية أو بداخلها. و هو آخر من سجلت أسماءهم في سجل أساتذة متحف الإسكندرية. وقد كتب شرحا لكتاب Syntax لبطليموس أقرّ فيه لما كان لابنته من مساهمة في تأليفه. ولقد كتب شرحاً لكتاب القوانين الفلكية لبطليموس، وكتاب آخر لأپلونيوس البرجي ، ولكن مؤلفاتها كلها لم يبق منها شيء.

هي هيباتيا الفيلسوفة السكندرية المصرية، لم تكن فقط فيلسوفة بل ايضا عالمة فلك ورياضيات بالإضافة إلى الفيزياء وامتازت بالجمال الفائق إلا أنها وهبت نفسها للفلسفة وتميزت بالعبقرية، بلغت عبقريتها إلى حد أنها تعلمت على نفقات الدولة الرومانية وذلك شيء فريد من نوعه خاصة أن النساء في عصرها لم يكن الكثير منهن متعلمات.

لقد كانت في الأساس عالمة رياضيات وفلك، ثم انتقلت من الرياضيات إلى الفلسفة، كانت تعتبر أفلاطون أستاذها ومعلمها، لقد تفوقت علي جميع فلاسفة زمانها طبقا لقول سقراط الدارس المؤرخ المسيحي. وعينت أستاذة ومدرسة للفلسفة في متحف أو جامعة الإسكندرية وهي لم تتعد الخامسة والعشرين من العمر، وهو استثناء خاص لها خاصة أن المكتبة والجامعة في ذلك الوقت كانت شبه مسيحية، ذاع صيتها وكان يحضر لسماع محاضراتها

عدد كبير من الناس وجابت شهرتها الافاق، كان الطلاب يحضرون لسماعها خصيصا بل لقد وقع بعضهم في غرامها. وقد بلغ من حبها للفلسفة من أنها كانت تقف في الشوارع وتشرح لكل من يسألها النقاط الصعبة في كتب أفلاطون أو أرسطو، ويقول سقراط المؤلف إنه "قد بلغ من رباطة جأشها ودمائة أخلاقها وعقلها المهذب المثقف أن كانت في كثير من الأحيان تقف أمام قضاة المدينة وحكامها دون أن تفقد وهي في حضرة الرجال لا تواضعها ولا هيبتها مما أكسبها احترام الناس جميعاً وإعجابهم بها".

في خطاب متبادل بين طالبين من قورينا (برقة حالياً بليبيا) ، يقول هذا الصديق لصديقه : "لقد سافر الشباب من قورينا إلى الإسكندرية ليدرسوا على شخصية معروفة تماما، ويبدو أن شهرتها كانت تفوق الوصف ، لقد رأيناها وسمعناها بأنفسنا، بعد أن سمعنا عن تلك المرأة التي تتربع وبشرف على قمة الأسرار الفلسفية "

كيف بدأت الكارثة

كانت مصر في ذلك الزمن مهد الحضارات ومنبت العلوم وقدس أقداس الفلسفة ومنازة علوم الرياضيات والهندسة تشهد الأهرام والمعابد على ذلك والديانة اليونانية كانت دين السواد الأعظم من الشعب مختلطة بالعقائد المصرية، أيضا كان تمسك المصريين بدياناتهم تقليداً قديماً قدم الأهرام وأبى الهول وذوبان أي ديانة وافدة في بحر الشخصية المصرية، والحفاظ على تراث الأجداد واجب مقدس والصراع بين الديانة الجديدة المسيحية والديانات الوثنية الموجودة على أشده من التطاحن والتنافر والتقاتل، والعداء بين سدنة الدين الجديد والفلاسفة قائم وسعيه متأجج، فالمسيحيون الأوائل ينظرون إلى العلم والفلسفة على أنهما يتحدان مع الوثنية في هوية واحدة فلا علم ولا ثقافة إلا ما جاء به الكتاب المقدس، ولا حقيقة ولا باطل إلا ما أكدته الكتاب المقدس، ولا قانون ولا تشريع إلا ما ورد بالكتاب المقدس، وأن كل ما هو خارج سلطان النصوص المقدسة هو كفر وإحاد وزندقة وهرطقة ولا بد من شنق وقتل وسحق ومحق وطن وفرم وهرس وحرق المخالف للنصوص المقدسة ومنكرها وتاركها أو من تسول له نفسه بمناقشتها أو حتى الاستفهام عن صحتها، حتى وإن خالفت تلك النصوص المنطق وداست العقل، فالنقل فوق العقل، وتقديس النصوص أمر مفروض، والحفظ والكهان بالمرصاد وأشد الجرائم وأقذرها وأبشعها ترتكب باسم الحفاظ على المقدسات، والقتل والتنكيل لمن يطعن في الدين قتلاً وتمزيقاً وشهيراً وسحقاً، سواء في الحياة أو في الممات، فلا حرية إلا للكهان، ولا بحث ولا فحص إلا لحفظ النصوص، ولا تبجيل ولا احترام ولا تقدير إلا لأصحاب القداسات وأرباب الفضيلة، فهم الوحيدون الذين يمتلكون الحقيقة وهم ظل الآلهة في الأرض.

كانت "هيباتيا" على ديانة اليونان الوثنية، ولقد توفيت هذه الفيلسوفة الجميلة العبرية إثر حملة من المسيحيين المتعصبين على بقايا الوثنية وتصفية حساباتهم مع الوثنيين الذين اضطهدوهم طويلاً في زمن سابق، نعمل لقد اضطهد الوثنيون الرومان المسيحيين الأوائل بمصر في عصر الشهداء، وذلك في القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

الإعجاب بهذه الفيلسوفة مع الأسف الشديد لم يكن في واقع الأمر يشمل الناس جميعاً، فما من شك في أن مسيحي الإسكندرية كانوا ينظرون إليها

علي أنها كافرة مرهطقة بالإضافة إلى أنها كانت صديقة مقربة لأرستيز Arestes حاكم المدينة الوثني. وعندما حرض سيريل Cyril بطريك الكنيسة القبطية بالإسكندرية أتباعه الرهبان على طرد اليهود من الإسكندرية، أرسل أرستيز إلى ثيودوسيوس الثاني تقريراً عن الحادث بعيداً عن النزاهة بعداً استاء منه كبير الأساقفة ورجاله أشد الاستياء. وقذف بعض الرهبان الحاكم بالحجارة، فأمر بالقبض على زعيم الفتنة وتعذيبه حتى مات في عام 415 .

وأتهم أنصار سيريل هيباتيا بأنها صاحبة السلطان الأكبر على أرستيز، وقالوا إنها هي وحدها التي تحول دون الاتفاق بين الحاكم والبطريق.

نعم لقد نالت أبشع موتة لم يسبق لها مثيل، ولكنها الموتة الأشهر التي أصبحت فيما بعد المثال الذي يحتذى والنموذج التقليدي للتخلص من أرباب الحكمة والفلسفة والثقافة والرأي، وبالذات في محاكم التفتيش بأوروبا ، لقد أصبحت طريقة قتلها هي العبرة لمن تسول له نفسه أن يعترض أو يناقش أو حتى يهمس، أو يقف على قارعة الطريق كي يشرح ويوضح ويفهم للتلاميذ ماهية العدل ونهايات الظلم وأسباب السعادة ووسائل الرقى والتقدم وحرية الفكر والعقيدة

في أول مارس سنة 415م، أيام الصوم الكبير، والطريق مظلم أشد الظلام، كانت هناك عربة يجرها حصانان رشيقان وينهبان الأرض نهبا، يظهر ضوء خافت يبدد سواد الليل الكثيف، يعترض العربية جماعة من المتعصبين يتزعمهم كاتب صغير من موظفي سيريل، كانوا ينتظرونها على الطريق منذ فترة طويلة ويخفيهم ظلام الليل وملابسهم السوداء، يهجمون على العربية وبقسوة ووحشية يفتحون بابها، ويجذبون المرأة بارعة الجمال رشيقة القوام، ذكية العينين ساحرة الوجه ويجرونها جراً ويذهبون بها إلى كنيسة قيصرين، حيث تقدمت مجموعة منهم وقاموا بنزع ثيابها حتى تجردت تماما من ملابسها

أصبحت عارية كما ولدتها أمها، ثم تقدم أحد الرهبان وهو بطرس قارئ الصلوات، وبمساعدة بعض الرهبان الذين أمسكوا الجسد العاري تماما وشلوا حركته، وبسكين حاد النصل وبيد لا ترتعش ذبحها بطرس، ولم يكتف الرهبان بذلك، بل عكفوا على مهمة بالغة الغرابة، وذلك بتقطيع

الجسد إلى أشلاء مستمتعين ومنتشيين بما يفعلون، وراحت تكشف اللحم عن العظم بمحار قاس حاد الأطراف!!!!!!، وفي شارع سينارون، أوقدوا ناراً متأججة وقذفوا بأعضاء جسدها، ذلك أن المسيحيين المتعصبين في ذلك الزمن رأوا في "هيباتيا" لب الفكر الوثني لما تحمله من أفكار فلسفية،
(اللهم اكفنا شر الجماعة أيها)

الجدير بالذكر أنه ربما كنت هيباتيا هي الأولى ولكنها لم تكن الأخيرة أبداً، في أوروبا في عصور الظلام حرق الكثير والكثير من عالمات الفلك والنبات والعلاج بالأعشاب بدعوى ممارسة السحر!!!!!!!